



الرعاية الإسلامية للرهبان في دير صهيون في ضوء المراسيم السلطانية المملوكية (صور من التسامح الديني)

الرعاية الإسلامية للرهبان في
دير صهيون في ضوء المراسيم
السلطانية المملوكية
(صور من التسامح الديني)

أ. م. د. عمار مرضي علاوي

الجامعة العراقية - كلية الآداب

مستخلص

تمثل

المقدمة

شهد العصر المملوكي الثاني (المماليك البرجية) أحداثاً مهمة سواء على الصعيد الداخلي المتمثل بكثرة التمردات وعدم استقرار الوضع السياسي نتيجة عزل السلاطين وتولية آخرين، وعلى الصعيد الخارجي تحملت الدولة أعتى قوتين، قوة المغول ومحاولتهم السيطرة على بلاد الشام، وقوة الصليبيين الذين ما يأسوا من تكرار هجماتهم على بلاد الشام وبيت المقدس على وجه الخصوص. وعلى الرغم من ذلك لم يتأثر سلاطين المماليك بهذا الجو المغتم بل سيروا الدولة على أتم وجه من خلال وضع الامور في نصابها بقوة القوانين المفروضة على المجتمع. واحتلت مدينة القدس أهمية كبيرة في تاريخ المسلمين على تعاقب دولهم، فكانت بحق مدينة التعايش السلمي بين الفئات والقوميات والديانات، بل تعدى الامر أبعد من ذلك حينما سطر السلاطين بأيديهم مراسيم ووثائق رسمية أثبتوا فيها حقوق النصارى وغيرهم من الديانات الاخرى، كحق مشروع في الحياة وممارسة الشعائر وفق ما قرره الشرع الحنيف.

وأهمية المراسيم لا تكمن في حفظ المؤرخين المسلمين لها، بل أن النصارى وغيرهم هم من احتفظ بها وشهدوا بعدالة المسلمين تجاههم، لذلك فإن هذه الدراسة جاءت بالمراسيم من مراجع ودراسات مختلفة متناثرة أغلبها أخذت من مراجع أجنبية قد حفظت تلك الوثائق. وهي محاولة لدراسة تلك المراسيم وبيان أهميتها وكيفية التعامل مع الرهبان، والامتيازات التي أعطيت لهم، وما هي انعكاساتها على بيئة مدينة القدس.

أولاً- التعريف بالرهبان الفرنسيين وأماكن وجودهم:

يعد الرهبان الفرنسيين نصارى ملكانيون، لكنهم ليسوا من الروم الأرثوذكس، وإنما من الروم الكاثوليك، أي أن ارتباطهم كان بابا روما بشكل مباشر، ولهم رئيس روحي يمثل البابا، وقد اقتصر تواجدهم في القدس في دير جبل صهيون. وهم طائفة من الرهبان تنسب الى مؤسسها فرنسيس الأسيسي (١١٨٢-١٢٢٦م) الذي نشأ في إقليم أسيسي شمال إيطاليا، ودعا الناس لأن يحيا حياة المسيح (عليه السلام) ويقلدونه في صفاته وأخلاقه، وتبعه عدد كبير من الناس وتحولوا فيما بعد الى جماعة ديرية وقد لقبهم أهل المقدس بـ (رهبان أبي حبة) لأنهم كانوا يلفون حول وسطهم قطعاً من الحبل^(١). وفي سنة ٦٢٠هـ أصدر البابا هونوريوس الثالث مرسوماً بابوياً اعترفت بموجبه الكنيسة الكاثوليكية بالرهبان الفرنسيين^(٢).

وحقيقة الامر لا يعرف في ظل السيادة الاسلامية أن حصل تمييز عرقي أو حتى ديني، بل الامر كان في غاية السماحة والتسامح، ولا أدل من ذلك عهود وتوصيات السلاطين في ضرورة تمتعهم بحقوقهم على الرغم من الصراع الاسلامي - الصليبي ومثله المغولي، فلم تكن تلك الصورة انعكاساً على حريتهم. ففي سنة ٦١٨هـ سمح الملك المعظم عيسى^(٣) بناءً على موافقة أخيه السلطان الكامل الايوبي^(٤) (٦١٥-٦٣٥هـ)

للقديس فرنسيس وأتباعه من الرهبان بالإقامة في مكان متواضع فوق جبل صهيون ينقطعون فيه للعبادة^(٥).

حتى أنه في سنة ٦٢٨هـ آلت اليهم سدانة كنيسة القيامة، وتم اطلاق لقب حماة القبر المقدس عليهم^(٦).

وتكرر الحال نفسه في سنة ٦٤٤هـ عندما استطاع السلطان الايوبي الصالح نجم الدين أيوب^(٧) (٦٣٧-٦٤٧هـ) استعادة بيت المقدس، أظهر التسامح الديني تجاهه، فقد سمح للرهبان بتولية أماكنهم المقدسة في عليية صهيون وقاعة الحواريين^(٨).

ولا أدل من شهادة النصارى أنفسهم في معاملة حكام المسلمين لهم في تلك الديار، فقد ذكر عيشويابه الذي تولى كرسي البطريركية للمدة (٦٤٧-٦٥٧هـ) المعاملة الحسنة التي حظوا بها قائلاً ((إنّ العرب الذين مكنهم الرب من السيطرة على العالم يعاملوننا كما تعرفون إنهم ليسوا بإعداء للنصرانية، بل يمتدحون ملتنا ويوقرون قسيسينا وقديسينا، ويمدون يد العون الى كنائسنا وأديرتنا...))^(٩).

كذلك أصبحوا منذ سنة ٦٩١هـ في ظل سلطنة السلطان الأشرف خليل^(١٠) (٦٨٩-٦٩٣هـ) مسؤولي حراسة الأماكن اللاتينية المقدسة في القدس^(١١). وفيما يخص أماكن العبادة الخاصة بالنصارى سواء الكنائس أو الاديعة، فقد أوضح العمري^(١٢) أنّ هناك أربعون ديراً في القدس مخصصة لعدد من الطوائف النصرانية المختلفة. ويوجد أكثر من عشرين كنيسة موزعة بين هذه الطوائف في القدس^(١٣).

ولعل ذكر هذه الارقام من الكنائس والاديعة يعطي إشارة الى خصوصية المدينة وتسامحها مع الديانات الاخرى، لا خنوعاً ولا استسلاماً بل حفاظاً على النسيج المجتمعي وتنفيذاً

وإذعانا لأوامر الشرع الحنيف في التعامل مع الآخر. كذلك اهتمام المؤرخون المسلمين في احصاء هذه الاماكن ما يعطي أهمية المدينة لديهم.

ولعل من أشهر الكنائس الموجودة في المدينة، هي كنيسة القيامة التي سنولي حديثاً عنها باعتبارها ضمن الحقبة الجغرافية للدراسة.

كنيسة القيامة: هناك عدة تفسيرات لتسمية الكنيسة، منها أنها سميت بهذا الاسم، لاعتقاد النصارى أن فيها قبر النبي عيسى (عليه السلام)، وأنه قام بعد ثلاثة أيام من صلبه وخلص النبي آدم (عليه السلام) من الجحيم، أما المصادر العربية فتطلق عليها اسم (قمامة)، ويذكر أن السبب في هذه التسمية يعود الى أن المكان الذي أقيمت فيه كان مزبلة للمدينة، كما كان يتم فيه قطع أيدي المفسدين، ويصَلَّب به اللصوص، لذلك سميت الكنيسة باسم هذا المكان ^(١٤).

وهناك رأي آخر أن اليهود قاموا بدفن خشبة الصليب وجعلوا فوقها القمامات والنجاسات، فاستعظمت ذلك هيلين والدة قسطنطين عند مجيئها للقدس، فاستخرجتها وغسلتها وغشتها بالذهب، وبنت مكانها كنيسة القيامة ^(١٥). وعلى ما يبدو أن سبب التسمية بالقمامة هو من باب الاستهزاء والتقليل من شأنها.

وكان موقع كنيسة القيامة في وسط المدينة وهي كبيرة، فقد وصفها القزويني بقوله ^(١٦) ((لا ينضبط صفتها حسناً وعمارة وتنميلاً وكثرة مال)). كذلك وصفها العليمي قائلاً ^(١٧) ((وكنيسة قمامة... فإنها عندهم بمكان عظيم وبنائها في غاية الإحكام والإتقان، يقصدونها في كل سنة في أوقات عديدة من بلاد الروم والإفرنج ومن بلاد الأرمن ومن الديار المصرية والمملكة الشامية وسائر الأقطار، ويسمونها القيامة ويزعمون أن حجهم إليها...)).

ثانياً- رعاية الرهبان في ظل المراسيم والمواثيق السلطانية:

لا بد في مطلع حديثنا عن التسامح الديني الذي أبداه المماليك تجاه أهل الذمة، أن نعرض قليلاً الى أهمية علم الوثائق في حفظ المراسيم والوصايا والعهود والمواثيق، التي تعد دليلاً محفوظاً وشاهداً على العصر الذي كتبت فيه. فالوثائق هي مصدر مهم من مصادر الدراسات التاريخية لا غنى عنها لدقتها ومصداقيتها.

فالعصر المملوكي شهد نوعاً من الكتابة التاريخية بهدف الحفاظ على تراث الامة المشتت في ألوف الرسائل المبعثرة وجمعها في كتب جامعة، فالفت هذه الكتب التي جاز لنا أن

نسميها بالموسوعية وقد مثل أركانها كلاً من النويري (ت ٧٢٣هـ) بكتابه نهاية الارب في فنون الادب، والعمرى (ت ٧٤٩هـ) بكتابه مسالك الابصار في ممالك الامصار، والقلقشندي (ت ٨٢١هـ) بكتابه صبح الاعشى في صناعة الانشا، والعيني (ت ٨٥٥هـ) بكتابه عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، وبيبرس المنصوري (ت ٧٢٥هـ) بكتابه زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة. لذلك شهد العصر المملوكي عدداً من الديوانيين الذين امتازوا بثقافتهم الواسعة، وخيالهم الخصب وأسلوبهم الرائع الرشيح المتن، فجاءت الوثائق التي ديحوها قطعة فنية ونماذج أدبية نثرية يمكن احتداؤها، وفي المقابل تعكس اهتمامات وثقافة وبلاغة العصر، الى جانب عكسها ثقافة وبلاغة مؤلفيها، وعظمة وكبرياء الملوك والسلاطين الذين استخدموا هؤلاء الكتاب الديوانيين^(١٨).

وإذا انتقلنا الى الالقاب التي حصل عليها الرهبان النصارى، نجد أن الدولة المملوكية كانت تتعامل بأقصى درجات الاحترام والتقدير، وتنزيلهم المنزلة الرفيعة التي دلت عليها تلك الالقاب ذات الدلالة الواضحة. فقد كانت الالقاب تطلق على صيغتين، الصيغة الاولى كما وضحها القلقشندي بقوله^(١٩) ((البطرك المحتشم، المبجل، فلان، العالم بأمر دينه، المعلم أهل ملته، زخر الملة المسيحية، كبير الطائفة العيسوية، المشكور بعقله، عند الملوك والسلاطين، وفقه الله)). كذلك الصيغة الثانية تضمنت ألقاباً ونعوتاً عالية المكانة ((مجلس القسيس، الجليل، الروحاني، الخطير ن المتبتل، ابن المطران، الناصب الخاشع المبجل، قدوة دين النصرانية، فخر الملة العيسوية، عماد دين المعمودية، جمال الطائفة الفلانية، صفوة الملوك والسلاطين، فلان أدام الله تعالى بهجته))^(٢٠).

وعلى الرغم من الطبيعة العسكرية للماليك إلا أنهم لم يبتعدوا عن تعاليم الاسلام في التعامل مع الآخر، فقد برهنت مراسيمهم وعهودهم على تسامحهم وعدالتهم تجاه النصارى وغيرهم، ففي سنة ٧٩٠هـ أصدر السلطان الظاهر برقوق^(٢١) (٧٨٤-٨٠١هـ) مرسوماً عاماً أمره الى الامراء والولاة والنواب والمتصرفين بالطرقات المصرية والبلاد الشامية، يتضمن أن ناظر كنيسة القيامة يمنع الرهبان من زيارتها ويخرجهم من القدس لقطع مصانعهم، ومن ثم يقرر المرسوم منع الناظر وغيره من التعرض اليهم بغير سبب وإجرائهم في ذلك على جاري عاداتهم إذا قاموا بما عليهم من الحقوق السلطانية^(٢٢). وفي سنة ٧٩٨هـ أصدر السلطان

برقوق مرسوماً آخر في معاملة الرهبان بالحسنى، ونصه ((بسم الله الرحمن الرحيم، صدرت هذه المكاتبه الى المجلس العالي المالك الاميري الاجلي الكبير العنصري الاوحدى الذخري النصرى المجاهدى المؤيدى العلامى، مجد الاسلام بهاء الاتام، شرف الامراء زين المجاهدين، عمدة الملوك والسلطين، أدام الله تعالى تأييده وتشيده، توضح لعلمه المبارك أن جماعة رهبان الفرنج أنهم مقيمين بداخل القمامة لأجل خدمة كنائسهم ولهم مساكن معروفة بهم من قديم الزمان، ولم تكن جرت عادة أحداً أن يعارضهم في مساكنهم، وقد قصدوا جنس الروم أن يسكنوا بمساكنهم التي بأيديهم وبهم معروفة. ورفعوا أيدي المذكورين عن أملاكهم وبأيديهم محاضر شرعية تشهد لهم بالمساكن المذكورة أنها خادمة بأيديهم من قديم الزمان دون غيرهم، ومرسومنا للمجلس العالي أن يتقدم أمره المبارك بحملهم على ما بأيديهم من المحضر الشرعى الشاهد لهم بالمساكن المذكورة، ومنع جنس الروم من التعرض لهم أو لمساكنهم مع الوصية بهم في ذلك ومراعاتهم والإحسان اليهم، ويستقر المثل الشريف بأيديهم بعد العمل به، فيحيط علمه الكريم بذلك إن شاء الله تعالى. كتب في سابع عشر الحجة الحرام، سنة ثمان تسعين وسبعمائة حسب المرسوم الشريف، الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم))^(٢٣). وهذا النص لا يحتاج الى تفسير سوى أنه يؤكد على معاملتهم بالحسنى وفق المرسوم المذكور بلا نقصان.

ونجد أن الرهبان قد تمتعوا بكافة الحقوق والامتيازات من قبل سلاطين الدولة المملوكية، بما في ذلك بعمارة كنائسهم وممارسة طقوسهم، ففي سنة ٨٢٩هـ أصدر السلطان برسباي^(٢٤) (٨٢٥-٨٤٢هـ) مرسوماً خاصاً الى نائب السلطنة والقضاة وولاة الامور في القدس يتضمن اعلامهم الموافقة على السماح لرهبان دير صهيون في القدس بعمارة كنيسة دير صهيون على النحو الشرعى^(٢٥). وفي سنة ٨٣١هـ صدر مرسوم خاص من السلطان برسباي الى نواب السلطنة في دمشق وحلب وطرابلس وحماة وصفد وغزة والقدس، ملخصه أن يرثوا موتاهم من الرهبان، وأن يدفنوهم حيث يشاؤون، وأن يأكلوا ما يشتهون، وأن يشتروا العنب الذي ينفعهم بصنع شرابهم لاسيما ما فاض عن حاجة المسلمين، وأن لا توضع العراقيل في الذهاب والاياب، وأن لا يلزموا ضريبة، وأن يدخلوا كنيسة القيامة من غير كلفة^(٢٦).

وهذا المرسوم يوضح مدى التسهيلات التي حظي بها الرهبان وأتباعهم في ظل السيادة المملوكية، وهو بلا أدنى شك يعبر عن روح التسامح.

كذلك صدرت عدة مراسيم من السلطان برسباي، وهي عبارة عن مجموعة موثائق وفتاوى في سنة ٨٤١هـ مرسومة من السلطان، ملخصها بناء على أمر قاضي القضاة الحنفية في الديار المصرية بدر الدين العيني^(٢٧) بشهود الموقعين على المحضر من أهالي القدس بمعاينة حالة كنيسة عليّة صهيون، وما لحق بها من ضرر بعد الاقرار بأن هذه الكنيسة يتوارثونها جماعة بعد جماعة، وملحق بهذا المحضر فتوى أصدرها قاضي القضاة بدر الدين العيني بخصوص تجديد الرهبان لعمارة كنيسة عليّة صهيون، وملحق بها أيضاً عدة محاور شرعية تشهد بأنه بعد الكشف على ما تم من بناء الدير والكنيسة أن جاء ذلك مطابقاً لما سمح به^(٢٨).

ومن بين السلاطين الذين أظهروا احتراماً ورعاية للنصارى، السلطان الظاهر جقمق^(٢٩) (٨٤٢-٨٥٧هـ)، ففي سنة ٨٥١هـ سمح للرهبان الفرنسيكان بعمارة ما تهدم من ديرهم، وأصدر بذلك مرسوم خاص من نائب السلطنة بالقدس الى ناظر الحرمين الشريفين بمعاينة ما تهدم من حوائط دير صهيون، وتمكين الرهبان من تكملة بناء ما هدم من ديرهم على حكم الشريعة المطهرة^(٣٠). بينما نجد مرسوماً للسلطان جقمق مشابهاً للمرسوم آنف الذكر لكن في سنة ٨٥٠هـ وبه تفاصيل أوفى ((الرئيسي الاوحدى الاميني مجد الاسلام والمسلمين، شرف الرؤساء في العالمين، فخر الامناء جمال البلغاء، أوحد الاصلاء زين الامائل المعترين، صفوة الملوك والسلاطين أدام الله تعالى نعمته وجدد مسرته، وموضحة لعلنه أن جماعة الغارديان والرهبان بدير صهيون بالقدس الشريف رفعوا قصة لموافقنا الشريفة قرأت على مسامعنا الشريفة أنهم فيها أن بدير بيت لحم أماكن قد خربت وتهدمت من كثرة الامطار والاهوية، وأنهم يخشون من طارق يتوصل منها الى داخل أماكنهم ويحصل لهم بذلك الضرر، وأنهم أوصلوا هذه القضية بالمجلس العالي وبالمجلس العالي الاميري الكبير السيفي النايب بالقدس الشريف وكاشف الرملة والقضاة بالقدس الشريف، وأنهم أمروا المهندسين بكشف ذلك بحضور العدول وأنهم مروا بعمارة ذلك على ما كان عليه أولاً من غير زيادة وتلبيس أسطحته بالجبس وترميمه وقطع قرطسه، وأنهم كتبوا بذلك محضراً، ومرسوماً للمجلس العالي أن يتقدم بالركوب بنفسه ويتوجه الى الدير المذكور ويكشف الاماكن المذكورة ويعمل فيها بما

تقتضيه حكم الشرع الشريف ويراه ذمة المجلس العالي عند الله عز وجل، فإننا نتحقق دينه وخيره وجودته، والقصد في ذلك العمل بما تقتضيه الشريعة المطهرة، وكتبنا الى المجلس العالي النائب القدس الشريف وما مع ذلك بمعنى ذلك، وذكروا في قصتهم أن من جملة حقوق الدير المذكور مكاناً ملاصقاً بجداره ينتفعون به في زراعة الخضروات وأنه لما قل تردد الرهبان الى المكان المذكور للدير قديماً وهو مع حقوقه والواضع اليد عليه الآن بغير حق، فيعاد اليهم على الوجه الشرعي، وذكروا في قصتهم أنه إذا ورد راهب مستجد من بلاد الفرنج أنه يزين الموجب السلطاني مرة واحدة، وأنه إذا سافر لإحضار الصدقة ثم عاد لا يعطي شيئاً، وكذلك رئيس الدير لم يكن له عادة بوزن شيء قط، وأنه في هذا الوقت تم من أحدث عليهم حادثاً ويلزمهم بإعطاء ما لم تحجر لهم به عادة فيتقدم المجلس العالي ويكشف عن أمرهم قديماً ويجروا في ذلك على جاري العادة في الايام الناصرية والمؤيدية، وذكروا في قصتهم أيضاً أنه لهم ترجماناً نصرانياً يسمى يوسف يتعاطى أسباب مصالحهم ويقضي حوائجهم ويخدمهم على ما جرت به العادة وقرروه الحكام من قديم الزمان، وأنه لم يكن له جريمة ولا جنحة وتم من يقصد استبداله بغيره ويقصد بذلك قطع مصانعتهم ويحصل لهم بذلك الضرر، فيتقدم المجلس العالي بالكشف عن يوسف المذكور وإن لم يكن صدر منه ذنب ولا جريمة فيستمر في ترجمتهم على عادته، وقد كتبنا الى المجلس العالي السيفي النائب بالقدس الشريف وكاشف الرملة وأعلمناه بذلك كله. فليحيط علم المجلس العالي بذلك والله تعالى يؤيده بمنه وكرمه إن شاء الله. كتب في حادي عشر من القعدة الحرام من سنة خمسين وثمان مئة حسب المرسوم الشريف، الحمد لله رب العالمين وصلواته وسلامه على سيدنا محمد وآله وصحبه حسبنا الله ونعم الوكيل^(٣١). وقد اشتمل هذا المرسوم الواسع في أوامره لمن هم في موقع التنفيذ، وهو يشير الى إعادة ما تهدم من أجزاء الكنيسة، فضلاً عن السماح لهم في الدخول والخروج بحرية دون مضايقة، وهذا بلا مبالغة ومجاملة— من أروع ما كتب من عهد وميثاق، وهو مطابق لما جاء به الخليفة الراشد عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) في الوثيقة العمرية عندما فتح بيت المقدس. ويبدو أن هذين المرسومين كانا بعد طلب من ملك الحبشة زرع يعقوب، الذي أرسل سفارة الى السلطان جقمق سنة ٨٤٧هـ، وفيها هدية فاخرة ورسالة طويلة يطلب فيها حسن الرعاية بالنصارى الموجودين في البلاد والتخفيف على الاقسة والرهبان، وأن يتولى

البطريك مال من يموت ولا وارث له، ودفن موتاهم دون أن يتعرض لهم، وعدم التعرض للنصارى في كنائسهم وقت صلاتهم وفي أيام أعيادهم (٣٢).

ومن بين السلاطين الذين اهتموا بأمر الرهبان وما لهم من حقوق، السلطان خشقدم (٣٣) (٨٦٥-٨٧٢هـ) الذي أصدر مرسوماً عاماً لصالح رهبان دير صهيون في ٢٨ صفر ٨٦٩هـ، الذي يظهر مدى الاهتمام والرعاية الكبيرة تجاه هؤلاء، وملخص المرسوم أن لا يكلفوا ولا يلزموا بكلفة ولا تسفير إلّا إن كان لهم اسماً، ويمكنوا من دفن موتاهم، والسماح لهم بشراء العنب ونقله من دير الى دير ومن كنيسة الى كنيسة، ويمكنوا من التوجه الى بلادهم، واعفاء الرهبان من الضريبة عند دخولهم كنيسة القيامة، وتمكين رئيس دير صهيون من إقامة اثنين وثلاثين أو أربعين راهباً بكنيسة القيامة، والسماح لهم بإعادة ما تهدم من مساكنهم، وأن لا يجبروا بفتح ديورتهم ببيت لحم وكنائسهم ببيت لحم وعين كارم إلّا برضاهم، ولا تمنع الصدقة الواردة لهم، ولا يعارضوا في جميع مزاراتهم، وإذا اعتدى أحد من طوائف الفرنج على أحد من المسلمين في البر والبحر لا يلزم الرهبان بذلك. ولا يتعرض للرهبان الواصلين الى ميناء يافا، ولا يغصبهم أحد من المكارية على الركوب إلّا برضاهم، أو الترجمة لهم إلّا إن كان بيده مرسوم شريف، ولا يمكن أحداً من طوائف النصارى من الدخول الى أماكنهم إلّا برضاهم (٣٤).

هذا المرسوم فيه من الرعاية والتسامح والسماحة ما لا يوجد في دين أو دولة غير إسلامية، بعيداً عن العاطفة أو التحيز، وهي - الحقوق والامتيازات - نابعة من ديننا الحنيف الذي أوصى بهم في ضوء الآيات القرآنية والاحاديث النبوية الشريفة.

وعلى الرغم من الرعاية والحرية التي تمتع بها هؤلاء الرهبان ورعاياهم، لكن نجد أنهم لم يكتفوا بذلك وحاولوا التوسع على حساب حدود أماكنهم، فيذكر أنه في سنة ٨٩٤هـ قام الرهبان بإحداث كنيسة بظاهر القدس الشريف بالقرب من الدير، زاعمين أن مكانها هو مقام للسيدة مريم (عليها السلام) وأحكموا بناءها، وأصبحت كنيسة محدثة في الاسلام (٣٥).

ولم تقتصر المراسيم على اعطاء الحقوق والحريات للنصارى، بل تعدت الى اصلاح أماكن عبادتهم التي تعرضت للسقوط نتيجة تقادم الزمن عليها، ففي سنة ٩٠٤هـ صدر مرسوم من السلطان قانصوه الغوري (٣٦) (٩٠٤-٩٢٢هـ)، ما ملخصه أن كنيسة القيامة انهدم منها ركن ملاصق للخانقاه الصلاحية (٣٧) بناءً على ما أخبره بها ناظر الخانقاه، وأن الخانقاه ربما

تتداعى للسقوط بسبب ذلك، ويقضي المرسوم الى النائب وناظر الحرمين الشريفين أن يقفا ويحررا ذلك التحرير الشافي بحضور المهندسين والمعمارية ورد الجواب على ذلك، فجاء المرسوم بالسماح بعمارة ما تهدم من كنيسة القيامة، فلما قرئ المرسوم عاج أهل القدس وأطلقوا لسانهم في منع ذلك، إلّا أن القضاة كتبوا على محضر أن ما أنهى صحيح وأنه إذا لم يعمر هذا الخسف وقعت الخائفة، وكانوا قبل ذلك امتنعوا بأن الانهاء باطل (٣٨).

وهناك مرسوم آخر من السلطان قانصوه الغوري في سنة ٩١٩ هـ وهو ملصق على باب كنيسة القيامة يتعلق بمعاملة النصارى في القدس، ونصه ((بسم الله الرحمن الرحيم بالأمر الشريف العالي المولوي السلطاني الملكي الاشرفي السيفي أعلاه الله تعالى وشرفه وأنفذه وصرفه.

أن لا يكرهوا جماعة الرهبان النصارى والرهبانيات الملكيين واليعاقبة بموجب ولا بخفر ولا بظلم عند دخولهم قمامة القدس الشريف أسوة رهبان الكرج والحبوش، ولا عند دخولهم الى ميناء يافا ولا عند خروجهم من يافا ولا في مدينة غزة ولا في رملة لذ الواردين من الرهبان والرهبانات من المذكورين في البر والبحر وكل ناحية لزيارة بيت المقدس، مستمر حكم ذلك من تقادم السنين من غير إحداث حادث ولا تجديد مظلمة ومنع من يتعرض اليهم بسبب ذلك أوفى كميرهم، وهي تربتهم التي يدفنوا بها، ولا يتعرض أحد الى موتاهم ولا لبوابهم، ومسامحة الرهبان والرهبانات من طائفة الروم والقبط من الموجب بالأعمال المذكورة في البسط والموسم على جاري عاداتهم ومنع من يعارضهم في ذلك حملاً في ذلك على ما بيدهم من المربعات الشريفة السالفة، والمربع الشريف الاشرفي الذي بيدهم عند انتهائهم أنهم رهبان وأهل ذمة ومنقطعين، وأن بيدهم عهديات وسجلات ومربعات شريفة شاهدة لهم بذلك، وسألوا كتابة هذا المرسوم الشريف بذلك جميعه، وأن ينقش شرح ذلك برخامة وتلصق بباب القمامة وليصير ذلك تذكرة بعدل مولانا المقام الشريف عز نصره على ممر الدهور والايام صدقة عليهم عند تمثيل القس صفرونس الراهب الملكي ورقعته لدى المواقف الشريفة، فرسم لهم بذلك بمقتضى القصة المرفوعة عن الرهبان والرهبانات المشمولة بالخط الشريف حسب الامر الشريف شرفه الله تعالى وعظمه. بتاريخ اليوم المبارك التاسع من شهر الله المحرم

الحرام سنة تسع عشرة وتسعمائة، والحمد لله وحده مصلياً ومسلماً على من لا نبي بعده^(٣٩).

ويبدو أن سبب اصدار هذا المرسوم هو نتيجة لما آلت اليه العلاقات المملوكية الصليبية، فيذكر أن الصليبيين بما فيهم البنادقة الذين استولوا على بضائع التجار المسلمين أثناء المرور في مياه البحر المتوسط، الامر الذي أدى الى خسارة التجارة المملوكية، فما كان من السلطان قانصوه أن أصدر في ١٣ جمادى الآخرة سنة ٩١٦هـ أمراً بإلقاء القبض على جميع التجار الاوربيين المقيمين في الاسكندرية ودمياط، وجميع الرهبان الفرنسيين في دير صهيون وكنيسة القيامة، ولما حضروا الى السلطان تكلم معهم بشدة وغلظة وطلب منهم مكاتبة الاوربيين لإعادة السفن مهدداً إياهم بغلق كنيسة القيامة، وفعلاً أرسل الى نائب القدس ليتولى غلق الكنيسة والاحتياط على ما للفرنج بها من أموال، وأجبر رئيس دير الرهبان على تسليم ما لديه من أموال مخبأة وتحفاً وذخائر كنيسة بلغت بآلاف الدوكات^(٤٠). وفي صفر من سنة ٩١٨هـ وصل سفير البندقية الى القاهرة عاصمة المماليك للتوسط في إطلاق سراح الرهبان وأمر كنيسة القيامة، فتم الصلح في ذلك وعقد معاهدة تجارية بين البلدين^(٤١).

والباحث في تاريخ المماليك يجد في تلك المراسيم السلطانية خير دليل على التسامح الذي أبداه السلاطين تجاه الرهبان، ولعل مجمل هذه المراسيم تتناول الامور التالية^(٤٢):

١- حرية التعبد للرهبان وعدم التعرض لهم في زيارة الاماكن المقدسة التي جرت عادتهم على زيارتها والتعبد بها، كما تنص على اعفائهم من أية مكوس تجبى منهم على زيارتهم لكنيسة القيامة وغيرها من المزارات المسيحية.

٢- معالجة شؤون حياتهم ومعاشهم، وتقرير الاعفاءات المالية لهم في الحالات التالية:

أ- حرية السفر الى الخارج وحرية العودة الى فلسطين دون جباية أي مكوس منهم.
ب - حرية التنقل لهم ولأتباعهم داخل فلسطين، ومعاملتهم بالحسنى وبما تقتضيه قواعد العدالة.

ت - عدم جباية أية أتاوات منهم عند قيامهم بترميم منازلهم.

ث - عدم جباية أية مقررات مالية منهم في مناسبات معينة، كمناسبة تولية نائب جديد للقدس، أو مناسبة قدوم رسول من قبل السلطان.

ج — الاعفاء الجمركي لما يرد اليهم من بلادهم من موارد غذائية، وألاً يمنعوا من تقبل الهبات التي تقدم اليهم من مواطنيهم في أوروبا.

ح — عدم فرض أية قيود على نقل المواد الغذائية الخاصة بهم داخل فلسطين، ومن دير الى دير.

خ — معالجة شؤونهم الخاصة دون تدخل من أحد.

د — ميراث من يموت منهم يؤول اليهم.

ذ — عدم التعرض لهم في أموالهم وممتلكاتهم الخاصة.

ر — تأمين سلامتهم الشخصية وعدم التعرض لهم بأذى أو مكروه.

٣ — عدم مسؤوليتهم إزاء ما يحدث من غارات المتجرمة في البحر من الفرنج على سفن المسلمين، أو على الثغور المصرية والشامية.

٤ — فضلاً عن مراسيم تتعلق برفع مظلمة معينة عنهم، أو فصل في المنازعات بينهم وبين الطوائف المسيحية الاخرى، أو السماح لهم بترميم كنائسهم وأديرتهم.

ولعل السؤال الذي يطرح نفسه: ما هي الغاية من إصدار هكذا مراسيم، أو ما هو

الدافع وراء هذه الحقوق والرعاية تجاه الرهبان ؟

حقيقة الامر أن سلاطين المماليك بما عرف عنهم من الدفاع عن المسلمين ومقدساتهم، كذلك كان لهم موقفاً من الديانات الاخرى لا يختلف كثيراً عن غيرهم، وهذا الامر يمكن استنتاجه في ضوء الالتزام بمبادئ الشرع الحنيف الذي طبقه سلاطين الدولة، ومن مبدأ التعامل مع غير المسلمين وفق التسامح وعدم الاكراه والاعتداء ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾^(٤٣). فضلاً عن أن المماليك أرادوا أن يظهروا للعالم أنهم حماة للأديان وليس الدين الاسلامي فحسب، من خلال أعداد اليهود والنصارى في كلاً من مصر وبلاد الشام لاسيما القدس. كذلك الالتزام بالوثيقة العمرية التي كتبها لأهل القدس والامان الذي منحه لهم، الذي هو ((بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل إيلياء من الأمان، أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم، وكنائسهم وصلبانهم، وسقيمها وبريئها وسائر ملتها، أنه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم، ولا ينتقص منها ولا من حيزها، ولا من صليبهم، ولا من شيء من

أموالهم، ولا يكرهون على دينهم، ولا يضار أحد منهم، ولا يسكن بإيلياء معهم أحد من اليهود، وعلى أهل إيلياء أن يعطوا الجزية كما يعطي أهل المدائن، وعليهم أن يخرجوا منها الروم واللصوص، فمن خرج فمن خرج منهم فإنه آمن على نفسه وماله حتى يبلغوا مأمنهم، ومن أقام منهم فهو آمن، وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية، ومن أحب من أهل إيلياء أن يسير بنفسه وماله مع الروم ويخلي بيعهم وصلبهم فإنهم آمنون على أنفسهم وعلى بيعهم وصلبهم، حتى يبلغوا مأمنهم، ومن كان بها من أهل الأرض قبل مقتل فلان، فمن شاء منهم قعد وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية، ومن شاء سار مع الروم، ومن شاء رجع إلى أهله فإنه لا يؤخذ منهم شيء حتى يحصد حصادهم، وعلى ما في هذا الكتاب عهد الله وذمة رسوله وذمة الخلفاء وذمة المؤمنين إذا أعطوا الذي عليهم من الجزية شهد على ذلك خالد بن الوليد، وعمر بن العاص، وعبد الرحمن بن عوف، ومعاوية بن أبي سفيان وكتب وحضر سنة خمس عشرة)) (٤٤).

ولا ننسى مكانة القدس وأهميتها للعالم أجمع، فهي بالنسبة للمسلمين أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين، وكذلك الأمر للنصارى الذين تمسكوا بما لهم فيها من مقدسات. وأخيراً ديمومة العلاقات الدولية من خلال الاعداد الموجودة فيها من مختلف الجنسيات، فكانت رسالة سلام واطمئنان لهم في الحفاظ على أرواحهم وممتلكاتهم.

الخاتمة

بعد أن استعرضنا بصورة موجزة لأهم المراسيم السلطانية المملوكية الممنوحة للرهبان الفرنسيين، كان لا بد من وقفة على أهم النتائج المستوحاة من المادة المعروضة.

١- تعد دولة المماليك الجراكسة نموذجاً في التعايش السلمي في ضوء المراسيم والمواثيق التي أصدرها سلاطينهم.

٢- تعد هذه المراسيم شاهد عيان وتراث مكتوب غير قابل للطمس أو التزليل، فهي شهادة مكتوبة للحقوق والامتيازات التي حصل عليها النصارى في ظل دولة المماليك ما لم يحصلوا عليه في أي دولة أو إمارة غير مسلمة كاليهود مثلاً عندما احتلوا بيت المقدس سنة ٤٩٢هـ وما فعلوا بالمدينة من مجازر.

٣- هناك نقطة مهمة هي أن هذه المراسيم والمواثيق جاءت بناءً على طلب الرهبان من السلاطين في معالجة أحوالهم المعاشية والدينية، فنجد عبارة بناءً على ما رفعه إلينا... وهذا لا يعني أن السلاطين لم يهتموا بالنصارى على العكس كانت العناية واضحة للعيان.

٤- لعل في إصدار السلاطين للمراسيم بمثابة رسالة للعالم الغربي على وجه التحديد أن دولة المماليك هي دولة التعايش والتسامح لاسيما القدس التي شهدت نسيجاً اجتماعياً قل نظيره حتى في مجتمع الديانتين اليهودية والمسيحية.

٥- ونلاحظ أن سلاطين المماليك حتى في أوقات الازمات والحروب مع الصليبيين لم يهملوا العناية والمتابعة للنصارى في القدس، وهذا لا يعني أنه لم تحصل مضايقات أو سوء تصرف، لكن في الغالب الاعم أنهم تمتعوا بحماية وعناية فائقة.

٦- أخيراً وليس آخراً مثلت مدينة القدس نموذجاً فريداً من التعايش السلمي والمجتمعي بين الديانات السماوية، بفضل الحماية والرعاية التي أولاها سلاطين المماليك للمجتمع المقدسي بمختلف شرائحه، وعكست الصورة الحقيقية للإسلام في التعامل مع الآخر على أساس حق العيش والحقوق.

جدول يوضح المراسيم السلطانية المملوكية وتواريخها

التسلسل	السلطان	تاريخ المرسوم	موضوع المرسوم
١	الظاهر برقوق	٧٩٠هـ	مرسوم عام منع التعرض للرهبان
٢	الظاهر برقوق	٧٩٨هـ	مرسوم خاص معاملة الرهبان بالحسنى
٣	برسباي	٨٢٩هـ	مرسوم خاص لعمارة كنيسة دير صهيون
٤	برسباي	٨٣١هـ	مرسوم خاص أن يرث الرهبان موتاهم
٥	برسباي	٨٤١هـ	مجموعة مراسيم تخص تجديد عمارة كنيسة عليّة صهيون بعد فتوى القضاة بذلك
٦	جقمق	٨٥٠هـ	مرسوم بضمان حقوق الرهبان في العبادة والمعيشة
٧	جقمق	٨٥١هـ	مرسوم يسمح للرهبان بعمارة ما تهدم من ديرهم
٨	خشقدم	٨٦٩هـ	مرسوم عام للرهبان في عدم تكلفتهم وضمان حقوقهم في العيش والتنقل
٩	قانسوّه الغوري	٩٠٤هـ	مرسوم يقضي بعمارة كنيسة القيامة التي انهدم جزء منها نتيجة الامطار وغيرها
١٠	قانسوّه الغوري	٩١٩هـ	مرسوم ملصق على باب كنيسة القيامة يتضمن معاملة النصارى في القدس

عدد خاص بالمؤتمرات ٢٠١٨-٢٠١٩

هوامش البحث ومصادره:

- (١) كانتور، فورمان: التاريخ الوسيط، ترجمة قاسم عبده قاسم، دار المعارف (القاهرة: ١٩٧٣م)، ج ٢، ص ٦٧٠-٦٧١.
- (٢) السيد، الدكتور علي السيد: القدس في العصر المملوكي، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، ط ١ (القاهرة: ١٩٨٦ م)، ص ٩٣ وما بعدها.

(٣) الملك المعظم عيسى: شرف الدين عيسى بن السلطان العادل بن أيوب، كان عالي الهمة حازماً شجاعاً مهيباً فاضلاً، وكان محباً للأدب. اتسعت مملكته من حدود حمص الى العريش ويدخل في ذلك بلاد الساحل الإسلامية منها، وبلاد الغور وفلسطين والقدس والكرك والشوبك وصرخد، توفي سنة ٦٢٤هـ ودفن بقلعة دمشق ثم نقل الى جبل الصالحية حيث فيها قبور جماعة من أهل بيته. ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد (ت ٦٨١هـ): وفیات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر (بيروت: د. ت)، ج ٣، ص ٤٥٣.

(٤) الملك الكامل: محمد بن محمد بن أيوب بن شادي بن مروان ناصر الدين أبو المعالي بن السلطان العادل، لما أصبح سلطاناً على مصر كان ينفق الاموال على عمارة المساجد والمدارس، فضلاً عن مواقفه ضد الصليبيين في حملتهم الخامسة على دمياط، توفي في دمشق سنة ٦٣٥هـ. الصفي، صلاح الدين خليل بن آيبك (ت ٧٦٤هـ): الوافي بالوفيات، تحقيق أحمد الارناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث (بيروت: ٢٠٠٠ م)، ج ١، ص ١٥٨.

(٥) شافعي، سلام: أهل الذمة في مصر في العصر الفاطمي الثاني والايوبي، دار المعارف (القاهرة: ١٩٨٢ م)، ص ٢٦٦.

(٦) المرجع نفسه، ص ٢٦٧.

(٧) الملك الصالح: أبو الفتح أيوب بن السلطان الملك الكامل بن الملك العادل، كان قد ولّاه أبوه على حصن كيفا وأمد وسنجار، ثم تولى السلطنة بعد عدة خلافات بين الأمراء، وكانت له وقفة في الحملة الصليبية على دمياط وكان آنذاك يصارع المرض، وصف بأنه كان عزيز النفس عفيفاً حياً، طاهر اللسان وقوراً كثير الصمت، وقد أكثر من شراء الاتراك حتى صاروا أكثر عسكره، وقعت الاكلة في فخذة فتوفي في النصف من شعبان سنة ٦٤٧هـ بقصر المنصورة، وقد أخفوا موته لأن الصليبيين على الابواب وحتى لا تتكسر معنويات الجيش، فدفن بتربته في القاهرة. الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ): سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الارناؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط ٣ (بيروت: ١٩٨٥ م)، ج ٢٣، ص ١٩٣ وما بعدها.

(٨) شافعي، أهل الذمة، ص ٢٦٨.

(٩) ترنون، أس: أهل الذمة في الاسلام، ترجمة حسن حبشي، دار المعارف، ط ٢ (القاهرة: ١٩٦٧ م)، ص ١٥٩.

(١٠) الاشرف خليل: صلاح الدين خليل بن الملك المنصور قلاوون الالفي، تولى السلطنة بعد وفاة أبيه، افتتح سلطنته في الجهاد ضد الصليبيين ففتح عكا وقلعة الروم وبهنسا، كان شجاعاً عالي الهمة عديم النظر في الشجاعة، وكان صاحب سطوة تخافه الملوك في أمصارها. قتل وهو في رحلة للصيد على يد الامير بيدرا والامير حسام الدين لاجين. ابن تغري بردي، أبو المحاسن يوسف بن عبد الله (ت ٨٧٤هـ): مورد اللطافة فيمن ولي السلطنة والخلافة، تحقيق نبيل محمد عبد العزيز، دار الكتب المصرية (القاهرة: د. ت)، ج ٢، ص ٤٢.

(١١) العارف، عارف: تاريخ القدس، دار المعارف (القاهرة: ١٩٥١ م)، ص ٢٤٥-٢٤٦.

- (١٢) شهاب الدين أحمد بن يحيى (ت ٧٤٩هـ): مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تحقيق كامل سلمان الجبوري، دار الكتب العلمية، ط ١ (بيروت: ٢٠١٠ م)، ج ١، ص ٢٥٤.
- (١٣) مجير الدين عبد الرحمن بن محمد (ت ٩٢٨هـ): الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، تحقيق عدنان يونس عبد المجيد، مكتبة دنديس (عمان: ١٩٧٣ م)، ج ٢، ص ٤٠٢.
- (١٤) الهروي، أبو الحسن علي بن أبي بكر (ت ٦١١هـ): الإشارات إلى معرفة الزيارات، تحقيق: جانين سورديل - طومين، المعهد الفرنسي للدراسات العربية (دمشق: ١٩٥٣ م)، ص ٢٨.
- (١٥) الفلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي (ت ٨٢١هـ): صبح الاعشى في صناعة الانشاء، المؤسسة المصرية للتأليف والترجمة والطباعة والنشر (القاهرة: د. ت)، ج ١٣، ص ٢٨٥.
- (١٦) القزويني، زكريا بن محمد بن محمود (ت ٦٨٢هـ): آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر (بيروت: ١٩٦٠ م)، ص ١٦٣.
- (١٧) الأنس الجليل، ج ٢، ص ٤٠١ - ٤٠٢.
- (١٨) حمادة، الدكتور محمد ماهر: الوثائق السياسية والادارية للعصر المملوكي، مؤسسة الرسالة، ط ٢ (بيروت: ١٩٨٣)، ص ١٢.
- (١٩) صبح الاعشى، ج ١٢، ص ٢٨٩.
- (٢٠) المصدر نفسه، ج ١٢، ص ٢٨٩.
- (٢١) الظاهر برقوق: أصله من الجركس، تم أخذ من هناك وجلب إلى القاهرة، اشتراه الأمير يلبيغا الخاصكي واعتقه وجعله من مملكته، وصار فيما بعد من الأمراء إلى أن تولى السلطنة بعد خلع السلطان البحري الصالح حاجي، ولقب بالملك الظاهر وانقادت له مصر والشام وقام بعدة اصلاحات توفي في القاهرة سنة ٨٠١هـ. ابن حجر العسقلاني، شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي (ت ٨٥٢هـ): أنباء الغمر بأبناء العمر، تحقيق محمد عبد المعبد خان، دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد (الباكستان: ١٩٧٥ م)، ج ١، ص ٤٧٥.
- (٢٢) دراج، الدكتور أحمد: وثائق دير صهيون بالقدس الشريف، مكتبة الانجلو المصرية (القاهرة: ١٩٦٨ م)، ص ٤٩.
- (٢٣) العززي، روكسي بن زائد: من توصيات ومواثيق المماليك للرهبان في القدس وضواحيها، (دمشق: ١٩٨٠ م)، ص ٢١٨.
- (٢٤) برسباي: سيف الدين أبو النصر برسباي الدقماقي الظاهري، أصله من الجركس بيع ببلاد القرم فقدم به التاجر إلى جهة الشام، فاشتراه منه الأمير دقماق الظاهري نائب ملطية، فقدمه إلى السلطان الظاهر برقوق في جملة مملكته، وترقى في المناصب من سلطان آخر إلى أن تولى السلطنة بعد خلع الملك الصالح محمد في شهر ربيع الثاني سنة ٨٢٥هـ، كان يجهز الجيوش المصرية والشامية فقد فتح جزيرة قبرص، وحاصر مدينة آمد، ثم رجع إلى مصر وتوفي بها بعد مرضه سنة ٨٤٢هـ ودفن بتربته خارج القاهرة. ابن تغري بردي، مورد اللطافة، ج ٢، ص ١٥١ وما بعدها.
- (٢٥) دراج، وثائق دير صهيون، ص ٥٤.
- (٢٦) العارف، المسيحية في القدس، ص ٧٤.

(٢٧) بدر الدين العيني: لم نعثر له على ترجمة وافية سوى أنه من كبار علماء الحنفية، وقد تولى القضاء على المذهب الحنفي في عهد السلطان برسباي. ابن طولون، شمس الدين محمد بن علي (ت ٩٥٣هـ): مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، وضع الحواشي خليل المنصور، دار الكتب العلمية، ط ١ (بيروت: ١٩٩٨ م)، ص ٣٢٩.

(٢٨) دراج: المماليك والفرنج في القرن التاسع الهجري، دار الفكر العربي (القاهرة: ١٩٦١ م)، ص ١٦٤.
(٢٩) جقمق: جقمق العلائي الظاهري سيف الدين أبو سعيد الشركسي، ولي أعمال الملك المؤيد شيخ وكذلك كان أتابكاً لابن الملك الأشرف عزيز إلا أنه أنفرد بالسلطة، اتصف بالعدل والشجاعة والتدين وكان فصيحاً بليغاً وفاضلاً، له اشتغال بفقهاء الحنفية، مفتياً، مات في القاهرة ونقل إلى تربة أبيه. ابن تغري بردي، المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، تحقيق أحمد يوسف نجاتي (القاهرة: ١٩٥٦ م) ج ٤، ص ٢٧٥.
(٣٠) العسلي، الدكتور كامل جميل: وثائق مقدسية تاريخية، مؤسسة عبد الحميد شومان، ط ١ (عمان: ١٩٨٥ م)، ج ١، ص ٦٣.

(٣١) العزيزي، من توصيات ومواثيق المماليك، ص ٢٢٠ - ٢٢١.
(٣٢) السخاوي، محمد بن عبد الرحمن (ت ٩٠٢هـ): التبر المسبوك في ذيل الملوك، تحقيق الاستاذة نجوى مصطفى كامل والدكتورة ليبيبة ابراهيم مصطفى، دار الكتب والوثائق القومية (القاهرة: ٢٠٠٢ م)، ج ١، ص ١٦٧.

(٣٣) خشقدم: أبو سعيد بن عبد الله الناصري المؤيدي، كان مملوكاً اشتراه الملك المؤيد شيخ المحمودي في مصر، واعتقه واستخدمه، ثم عينه الظاهر جقمق (مقدم ألف) في دمشق سنة ٨٥٠هـ، وأعيد إلى مصر وعينه الأشرف إينال (أمير سلاح) ثم ولاه المؤيد احمد بن إينال (أتابك العساكر) وثار المماليك على المؤيد احمد فخلعوه، ونادوا به سلطاناً سنة ٨٦٥هـ، قمع الفتن التي قام بها بعض أمراء الجيش ومماليكهم، كان داهية، مهيباً كفوءاً للسلطنة، فصيحاً بالعربية، هدأت البلاد في أيامه، وتوفي في القاهرة سنة ٨٧٢هـ. ابن اياس، محمد بن احمد الحنفي (ت ٩٣٠هـ): بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق محمد مصطفى (القاهرة: ١٩٨٣)، ج ٢، ص ١٩٥.

(٣٤) العسلي، وثائق مقدسية تاريخية، ج ١، ص ٦٣.

(٣٥) العلمي، الانس الجليل، ج ٢، ص ٣٤٥.

(٣٦) قانصوه الغوري: أبو سعيد، ولد سنة ٨٧٦هـ في بلاد الغور، ثم أحضر إلى مصر، وهو شاب، فاشتراه الأمير قانصوه الألفي بمصر، وقدمه للسلطان الأشرف قايتباي سنة ٨٩٨هـ فظهر أنه أخو سرية السلطان أصيل باي، وهي أم ولده الناصر محمد بن قايتباي، فاستخدمه ورقاه، وعرف بخال السلطان الناصر، وتلقب بالملك الظاهر أبي سعيد، فكان من أسعد المماليك حظاً في سرعة تقدمه. وكان عاقلاً حليماً، قليل المساوئ، لم يتهياً له ما تهيأ للمماليك المولودين بمصر ولم تطل مدته، إذ خلعه أمراء الجيش سنة (٩٠٥هـ، فاختفى، ثم قبض عليه وأرسل إلى السجن بالإسكندرية. السيوطي، جلال الدين (ت ٩١١هـ): حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار احياء الكتب العربية، (القاهرة: ١٩٦٧ م)، ج ٢، ص ١٠٦؛ ابن العماد، عبد الحي بن العماد الحنبلي (ت ١٠٨٩هـ):

- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق محمود الارناؤوط، دار ابن كثير، ط ١ (بيروت: ١٩٨٦ م)، ج ١٠، ص ١٥٩.
- (٣٧) الخائقاء الصلاحية: وهي علو كنيسة القمامة، من أوقاف صلاح الدين الايوبي على الصوفية في سنة ٥٨٥هـ. العلمي، الانس الجليل، ج ٢، ص ٤٧.
- (٣٨) البصري، علاء الدين علي بن يوسف بن أحمد (ت ٩٠٥هـ): تاريخ البصري، تحقيق أكرم حسن العلبي، دار المأمون للتراث (دمشق: ١٩٨٨ م)، ص ٢٤٤.
- (٣٩) المحمد، أنس عبد الله: الحياة الاجتماعية في القدس في عصر المماليك على ضوء وثائق الحرم القدسي الشريف، رسالة ماجستير غير منشورة في كلية الآداب، جامعة دمشق (٢٠١٠ م)، ص ٣٠٩ - ٣١٠.
- (٤٠) ابن إياس، بدائع الزهور، ج ٤، ص ١٩٥.
- (٤١) المصدر نفسه، ج ٤، ص ٢٥٩.
- (٤٢) يمكن ملاحظة ذلك من خلال المراسيم الصادرة عن سلاطين المماليك تجاه الرهبان وكيفية معاملتهم لهم بالحسنى. للمزيد ينظر المحمد، الحياة الاجتماعية في القدس، ص ١٤٤.
- (٤٣) سورة البقرة، جزء من الآية (٢٥٦).
- (٤٤) الطبري، محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ): تاريخ الرسل والملوك، دار التراث، ط ٢ (بيروت: ١٣٨٧هـ)، ج ٢، ص ٦٠٩.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً- المصادر الأولية:

- ابن إياس، محمد بن أحمد الحنفي (ت ٩٣٠هـ):
- ١- بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق محمد مصطفى (القاهرة: ١٩٨٣).
- البصري، علاء الدين علي بن يوسف بن أحمد (ت ٩٠٥هـ):
- ٢- تاريخ البصري، تحقيق أكرم حسن العلبي، دار المأمون للتراث (دمشق: ١٩٨٨ م).
- ابن تغري بردي، أبو المحاسن يوسف بن عبد الله (ت ٨٧٤هـ):
- ٣- المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، تحقيق أحمد يوسف نجاتي (القاهرة: ١٩٥٦م).
- ٤- مورد اللطافة فيمن ولي السلطنة والخلافة، تحقيق نبيل محمد عبد العزيز، دار الكتب المصرية (القاهرة: د. ت).
- ابن حجر العسقلاني، شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي (ت ٨٥٢هـ):
- ٥- أنباء الغمر بأبناء العمر، تحقيق محمد عبد المعبد خان، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد (الدكن: ١٩٧٥م).
- ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد (ت ٦٨١هـ):

- ٦- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر (بيروت: د. ت).
- الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ):
- ٧- سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط ٣ (بيروت: ١٩٨٥ م).
- السخاوي، محمد بن عبد الرحمن (ت ٩٠٢هـ):
- ٨- التبر المسبوك في ذيل الملوك، تحقيق الاستاذة نجوى مصطفى كامل والدكتورة لبيبة ابراهيم مصطفى، دار الكتب والوثائق القومية (القاهرة: ٢٠٠٢ م).
- السيوطي، جلال الدين (ت ٩١١هـ):
- ٩- حسن المحاضرة في تأريخ مصر والقاهرة، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، دار احياء الكتب العربية، (القاهرة: ١٩٦٧ م).
- الصفدي، صلاح الدين خليل بن أبيك (ت ٧٦٤هـ):
- ١٠- الوافي بالوفيات، تحقيق أحمد الارناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث (بيروت: ٢٠٠٠ م).
- الطبري، محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ):
- ١١- تاريخ الرسل والملوك، دار التراث، ط ٢ (بيروت: ١٣٨٧هـ).
- ابن طولون، شمس الدين محمد بن علي (ت ٩٥٣هـ):
- ١٢- مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، وضع الحواشي خليل المنصور، دار الكتب العلمية، ط ١ (بيروت: ١٩٩٨ م).
- العليمي، مجير الدين عبد الرحمن بن محمد (ت ٩٢٨هـ):
- ١٣- الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، تحقيق عدنان يونس عبد المجيد، مكتبة دنديس (عمان: ١٩٧٣ م).
- ابن العماد، عبد الحي بن العماد الحنبلي (ت ١٠٨٩هـ):
- ١٤- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق محمود الارناؤوط، دار ابن كثير، ط ١ (بيروت: ١٩٨٦ م).
- العمري، شهاب الدين أحمد بن يحيى (ت ٧٤٩هـ):
- ١٥- مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تحقيق كامل سلمان الجبوري، دار الكتب العلمية، ط ١ (بيروت: ٢٠١٠ م).
- القزويني، زكريا بن محمد بن محمود (ت ٦٨٢هـ):
- ١٦- آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر (بيروت: ١٩٦٠ م).
- القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي (ت ٨٢١هـ):
- ١٧- صبح الاعشى في صناعة الانشاء، المؤسسة المصرية للتأليف والترجمة والطباعة والنشر (القاهرة: د. ت).
- الهروي، ابو الحسن علي بن أبي بكر (ت ٦١١هـ):

١٨- الإشارات الى معرفة الزيارات، تحقيق: جانين سورديل - طومين، المعهد الفرنسي للدراسات العربية (دمشق: ١٩٥٣م).

ثانياً- المراجع الحديثة:

- ترتون، أس:

١٩- أهل الذمة في الاسلام، ترجمة حسن حبشي، دار المعارف، ط ٢ (القاهرة: ١٩٦٧ م).
- حمادة، الدكتور محمد ماهر:

٢٠- الوثائق السياسية والادارية للعصر المملوكي، مؤسسة الرسالة، ط ٢ (بيروت: ١٩٨٣).
- دراج، الدكتور أحمد:

٢١- المماليك والفرنج في القرن التاسع الهجري، دار الفكر العربي (القاهرة: ١٩٦١ م).

٢٢- وثائق دير صهيون بالقدس الشريف، مكتبة الانجلو المصرية (القاهرة: ١٩٦٨ م).
- السيد، الدكتور علي السيد:

٢٣- القدس في العصر المملوكي، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، ط ١ (القاهرة: ١٩٨٦ م).
- شافعي، سلام:

٢٤- أهل الذمة في مصر في العصر الفاطمي الثاني والايوبي، دار المعارف (القاهرة: ١٩٨٢ م).
- العارف، عارف:

٢٥- تاريخ القدس، دار المعارف (القاهرة: ١٩٥١م).
- العسلي، الدكتور كامل جميل:

٢٦- وثائق مقدسية تاريخية، مؤسسة عبد الحميد شومان، ط ١ (عمان: ١٩٨٥ م).
- كانتور، فورمان:

٢٧- التاريخ الوسيط، ترجمة قاسم عبده قاسم، دار المعارف (القاهرة: ١٩٧٣م).
ثالثاً- الرسائل والاطاريح الجامعية:

- المحمد، أنس عبد الله:

٢٨- الحياة الاجتماعية في القدس في عصر المماليك على ضوء وثائق الحرم القدسي الشريف، رسالة ماجستير غير منشورة في كلية الآداب، جامعة دمشق (٢٠١٠ م).

رابعاً- الدوريات:

- العزيزي، روكسي بن زائد:

٢٩- من توصيات ومواثيق المماليك للربان في القدس وضواحيها، بحث ضمن المؤتمر الدولي الثالث لتاريخ بلاد الشام (دمشق: ١٩٨٠ م).